من أعلام المدرسة المالكية بتوات: العالم المجدد: عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري الجراري التواتي.(ت: 1160هـ) عصره، حياته وآثاره

أ. عبد الرحمن بعثمان*

مقدمة: تقع منطقة توات في الجنوب الغربي للجزائر، وتمثل حاليا الحدود الإدارية لولاية أدرار، وتتكون من ثلاثة مناطق فرعية هي: تنجورارين[1] وتوات وتيدكلت[2]، وتتوضع هذه المناطق بشكل هلالي على سفح هضبة تدمايت، ويتساكن في توات مزيج من قبائل عربية وبربرية وزنجية بتجمعات تسمى القصور، ويعتمد سكانها في معيشتهم على الزارعة والتجارة، ولقد واكب هذا الغنى والتنوع الذي عرفته واحات توات نهضة فكرية كبيرة حيث ظهرت على فترة من استقرار العناصر العربية مراكز علمية زاهرة أسهمت بالنهوض الفكري بدء من القرن التاسع للهجرة، حيث أثمر ذلك بروز العديد من العلماء العالمين الذي أغنوا المكتبة المحلية بمؤلفات رصدت مدى المستوى العلمي الذي عرفته المنطقة مابين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، ومنهم العالم الكبير الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري هذه القامة العلمية التواتية التي سيتناول هذا البحث عصره وحياته وآثاره.

الحركة العلمية في توات خلال القرن 12هـ: عرفت توات خلال القرن الثاني عشر الهجري(18م) نهضة علمية كانت امتدادا لنهضة علمية واسعة عرفتها الحواضر العلمية المنتشرة في أرجاء شمال أفريقيا كالقاهرة وفاس ومكناس مراكش وغيرها، والتي أنجبت علماء كانوا رواد إصلاح وناشري علم ومعرفة، وقد كان لهذه الحواضر الوقع المؤثر على توات بحكم الجغرافيا والتاريخ، وبدأت بوادره في الظهور منذ القرون التاسع الهجري، وتوّجه تأسيس مراكز علمية كان لها الأثر البالغ في بعث الحركة الثقافية والعلمية في عموم البلاد التواتية.

قبل الحديث عن الحركة العلمية والثقافية في توات يجدر بنا أن نسلط بعض الضوء على جذور هذه الحركة، لأن الحاصل لم يكن ليخرج من عدم، بل هو تراكم لأعمال جليلة وعوامل عديدة ساهمت في تشكيل بناءٍ تبلور كحركة علمية ونشاط فكري ميز القطر التواتي.

*- أستاذ مساعد أ في التاريخ الحديث والمعاصر - قسم التاريخ - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة بشار.

إن موقع منطقة توات من حيث هو معبر حتمي للقوافل التجارية بين المدن الشمالية وجنوب الصحراء أضفى على المنطقة حركية اقتصادية نشطة ساهمت إلى حد كبير في اجتذاب العديد من الجماعات البشرية التي آثرت الإستقرار في الإقليم لما يوفره من أمن ورغد عيش[3]، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون الذي وصف توات أنها بلد مستبحر في العمران، وأنها الممر الحتمي الذي تسلكه القوافل إلى بلاد السودان[4].

وتشرف توات أيضا على طريق آخر لا يقل أهمية عن الطريق الأول، وهو طريق تسلكه رِكب الحج القادم من سجلماسة وشنقيط والمتوجه نحو الحجاز عبر صحراء ليبيا ومصر، والذي مر به العياشي صاحب ماء الموائد[5]، ولاشك أن لركب الحج أهمية بالغة في تنشيط الحركة العلمية في المحطات والمراكز التي يتوقف عندها، إذ عادة ما يحمل الركب علماء أجِلاء يديرون- خلال فترات الراحة- بعض الدروس يتهافت طلبة العلم في توات إلى حضورها للاستزادة من علومهم وطلب الإجازة منهم.

ولعل أقدم مراكز الاستقرار في توات كان مدينة تمنطيط، التي تقع في نقطة تقاطع الطريقين السابقين، حيث عرفت خلال هذه الفترة انتعاشا اقتصادياً[6] وعلميًا كبيراً تحدث عنه صاحب القول البسيط في أخبار تمنطيط بقوله: "إعلم أن تمنطيط اسم لمدينة في إقليم توات إجتمع فيها العلم والولاية والعمارة والديانة، ونصبت بها الأسواق والبضائع، وكان لا يستغني عنها غني و لا زاهد"[7]؛ فقد آثر العديد من العلماء الهجرة إليها والإستقرار بها، حيث حل بها أبو يحي المنياري(ت 840هـ) الذي استقر بتمنطيط سنة 815هـ/1412م[8]، وأسس زاوية عكف من خلالها على التدريس ونشر العلم والمعرفة بها، ومن هؤلاء العلماء أيضا نجد الشيخ يحي التدلسي(ت 877هـ/1414م)[9] الذي حلّ بتمنطيط سنة 845هـ/1441م[10]؛ فتصدّر لتحفيظ القرآن ومبادئ اللغة العربية، وتدريس الفقه المالكي معتمداً على كبريات مصنفات المذهب كالمدونة ومختصر ابن الحاجب والموطأ وغيرها، فأثرى بذلك الساحة العلمية في عموم البلاد التواتية، وأجمع أهل تمنطيط على توليته القضاء للفصل في الخصومات التي تحصل بينهم، وقام على ذلك حتى وافته المنية بها سنة 877هـ/1441م[11].

ومن العلماء الذين دخلوا توات في نهاية القرن التاسع الهجري الشيخ عبد الله بن أبي بكر العصنوني الذي استقر أولا ببني تامرت[12] سنة 862هـ/1458م[13]، ثم انتقل إلى تمنطيط سنة

863هـ/1459م، وتصدّر الشيخ للتدريس، وتولى خِطة القضاء بعد وفاة التدلسي سنة 877هـ/1472م[14]، ثم خلفه في ذلك ابن أخيه سالم العصنوني الذي ذاع صيته بعد نازلة اليهود التي تناظر فيها مع الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي دخل توات واستقر بتمنطيط سنة 882هـ/1477م، وأخذ على علمائها، وأعجب بمستواهم العلمي حيث قال: "...، ودخلنا توات فوجدناها ديار علم ومقر أكابر وأعلام فانتفعت بهم وانتفعوا بنا"[15]، ولقد أضفى الشيخ المغيلي نفسًا جديدًا للحركة العلمية لا سيما السجال العلمي في القضايا المشكلة، وبخاصة فيما يتعلق بقضية وجوب محاربة يهود تمنطيط.

ومن بين أهم العلماء الذين استقطبتهم توات الشيخ ميمون بن عمرو بن محمد بن عمر البازي، مؤسس العائلة البكرية بتمنطيط، التي سوف يكون لها الأثر البالغ في الحركة العلمية في عُموم البلاد التواتية خلال القرنين العشر والحادي عشر الهجريين، حيث تصدر علماؤها للتدريس.

لقد كان للزاوية البكرية الأثر البالغ في الحياة العلمية في توات، حيث تخرّج منها العديد من العلماء الذين أشرفوا على تأسيس زوايا عامرة كزاوية تنلان وزاوية الرقادي و زاجلو وغيرها...، والتي أصبحت منارات علمية يقصدها الطلاب من توات وخارجها، ومن أبرز الطلبة الذين قصدوا الزاوية البكرية من داخل توات الشيخ سيدي أحمد بن يوسف التنلاني[16] مؤسس زاوية تنلان سنة 1058هـ، والتي أصبحت خلال القرن الثاني عشر الهجري مقصد طلبة العلم بفضل صيت مؤسسها[17]، الذي حلّ بتنلان بعد عودته من فاس التي قضى بها 13 سنة دارسا ثم مدرّسا، ومن أوائل الطلبة التواتيين الذين درسوا عند الشيخ عمر التنلاني العلامة الجليل المجدد عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري الذي شغل مالكية توات بأرائه التجديدية في القرن الثاني عشر الهجري.

مولد ونشأة الشيخ الجنتوري: هو الشيخ الكامل الصالح النحرير الأبر أبي زيد عبد الرحمن بن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن علي الانصالحي ثم الجنتوري الجراري الانصاري[18]، ولد بقرية جنتور بقورارة بتوات، يذكر تلميذه عبد الرحمن التنلاني في فهرسته أن أصل سلفه من قرية تيطاف[19] بتوات، ثم انتقلوا إلى عين صالح بتديكلت، وانتقل جده عبد الرحمن الى جنتور واستقر بها، ولا تذكر أي من المصادر المبسوطة تاريخا محددا لميلاده إلا أننا نجد في ثنايا

نوازله التي جمعها الشيخ محمد بن عبد العزيز المسعدي الجراري[20]. أنه توفي عن نيف وخمسين سنة.

كان الجنتوري، بحسب ما هو مبسوط في المصادر المخطوطة، عالما عاملا متواضعا، مفتشا، محققا، مناظرا، دراكا، جدليا، مشاركا في فنون العلوم، لا يماريه أحد إلا لجمه، ضاربا في المعقول والمنقول، قوالا للحق لا تأخذه في الله لومة لائم، زاهدا بما في أيدي الناس، مكتفيا بما يؤمن قوته وقوت عياله، منشغلا بما يعنيه، ملازما للقراءة والإقراء والتقييد[21].

تعليمه وشيوخه: تلقى الشيخ عبد الرحمن الجنتوري مبادئ علومه على يد والده الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الانصالحي[22-23]، حيث حفظ القرءان الكريم في سن مبكرة وانبرى لدراسة مذهب الإمام مالك حيث درس مختصر خليل، كما أخذ على ابن عمه المشارك عبد العلي بن أحمد الانصالحي، حيث درس على يديه مختصر خليل ورسالة بن أبي زيد القيرواني والتلمسانية والفرائض وبعض ألفية ابن مالك والقلصادي[24].

حاول الشيخ الجنتوري السفر في طلب العلم إلى الحضرة الفاسية فرده أهله[25]، ولما بلغه خبر عودة الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني الى توات قادما من فاس رحل إليه وأقام عنده نحو سنة ونصف أخذ عليه خلالها دروسا في مختصر خليل وجمع الجوامع والسلم في المنطق وتلخيص المفتاح ولامية الأفعال كما أخذ دروسا في صحيح البخاري ورسالة بن أبي زيد القيرواني وألفية ابن مالك، ثم رحل إلى جنتور وأقام مدة ثم رجع الى تنلان؛ فأقام ستة أشهر فدرس على الشيخ مختصر السنوسي وعقيدته الكبرى[26].

تلامذته: لم يكن الجنتوري ينظر بعين الرضا للمستوى العلمي لطلبة منطقة تنجورارين من بلاد توات الكبرى (قورارة)، حيث كان يشتكي قلة استيعابهم لغلبة العجمة عليهم، وكان يفضل عليهم طلبة توات لجودة قرائحهم وقرب لسانهم للعربية وقوة استيعابهم، وبلغ به الأمر إلى درجة رغبته في الرحيل إلى المشرق لعله يجد من يأخذ عنه[27]، ومن أهم تلامذة الجنتوري العالم الجليل عبد الرحمن بن عمر النتلاني، والشيخ محمد بن عبد الجبار بن أحمد التنكرافي والشيخ محمد عبد العلي بن عبد الحكم، ومحمد بن عبد العزيز المسعدي الجراري[28].

مؤلفـــاته :ألف الشيخ عبد الرحمن الجنتوري العديد من المؤلفات نذكر منها:

- نظم معونة الغريم في بعض أحكام قضاء الدَّيْن: نظم الجنتوري قصيدة في الأحكام الفقهية الخاصة بقضاء الدَّين تتكون من مائتين وسبعة (207) أبيات مبوبة على فصول وأبواب يقول في مطلعها:

الحمدُ لله وسيّدُ الأنـــــامْ عليهِ أفضلُ الصلاةِ والسلامْ
وآلــهِ وصحبِــه الأعــلامِ ما الحَمدُ في المبدإِ والختــامِ
وبعدُ فالقصــدُ بهــذا ذكرُ بعض أمورِ الدّين فيها عسرُ
لمثلِنــا تبصــرةٌ ونستعيــنْ اللهَ في كل الأمور تستهيــنْ
سمّيتُــهُ معونــةَ الغَــريــمِ ببعضِ أحكامِ قضا الملّيــمِ

إلى أن يقول:

تــــــمَّ بحمدِ اللهِ ثَمَّتَ على الرحمةِ المهداةِ خيرِ مَنْ عَــلا
أزكى الصّلاةِ والسلامِ وعَلى الآلِ والأصحابِ ثُم مَــن تَلا

- شرح على معونة الغريم: ذكره تلميذه عبد الرحمن بن عمر في فهرسته فقال "ومنها شرحه على معونة الغريم، لم أقف عليه ثمّ وقفت عليه"[29].

- حاشية مستقلة على الشيخ عبد الباقي الزرقاني: وردت الإشارة إليها في معظم المصادر المترجمة للشيخ الجنتوري، وهي عبارة عن تقاييد وطرر على شرح الزرقاني لمختصر خليل، أنكر فيها عليه خرق الإجماع، ابتدأها من أول المختصر شرحًا، وأسند المسائل لأصولها، ومع ذلك لم تكمل ولم تخرج من مسودّتها[30].

وقد عرض الشيخ الجنتوري تلك الحاشية على الشيخ العالم اللغوي محمد بن أبّ المزمّري للتقريظ [31]، فقال:

إنّ العلومَ ابــنَ ابراهيــم أُعْطِيها عفــواً فحازَ بها فخــراً وتفضيلا
العــالِمُ الفــردُ لا حِبرٌ يُناظِــره إنْ خاضَ في العلم معقولا ومنقولا
أكرِمْ بــه عَلَماً بــه توات حَوَتْ على القرى كلِّها فخرا وتبجيــلا
أَبدى جواهرَ من فنّ الفروع بهــا قد جمّلَ العقلَ من ذا الفنّ تجميــلا
من كــان لله كــان اللهُ مُظفــرَه بما يحــاول تسهيلا وتحصيــــلا
لكنْ سألتُ فقالــوا أمــرُه عَجَبٌ إن الفتى نــالَ للتــأليف تأهيــلا

ما فيه عيب سِوى مـــا كان صَيّره مِن قبلُ عـــن خطة التأليف مشغولا
فنـــالَني عجبٌ مِـــن ذاكَ أَذْهَلني حـــتى نطقتُ ببيتٍ فيـــه تمثيـــــلا
إنّي لأعجبُ مِن سيفٍ جلٍ ماضٍ وليس يُـــرى في الخَطب مسلـــولا

- تأليف في التصوف في أحوال أرباب القلوب: وردت الإشارة إليه من قِبل تلميذه محمد بن عبد العزيز المسعدي في مخطوط النوازل[32].

- شرح على مختصر خليل: ابتدأه من الخطبة إلى النكاح في توجيه كلام المتن[33].

- رجز في علم الكلام في مسألة الكون: قال عنه ضيف الله "لم يسبقه أحد في ذلك فيما نعلم، وله عليه شرح في نحو أربعة وستين بالقالب الرباعي، بيّض له محمد بن أب المزمري من المسودّة وأصلحَ فيه مواضع بموافقته[34].

- منظومتان في علم الكلام رائية ولامية: ضمّنهما محصّل كلام السنوسي في عقائده وشروحها، وهما في غاية الإفادة، يقول عنهما التنلاني"قرأتُهما معاً عليه، إلاّ أنّه لم يكن يتقن فنّ العروض والقوافي، فلذلك يوجد فيهما من عيوبهما كثير، وقد أذِنَ لي في إصلاح ما ظهر لي من ذلك فيهما، فأصلحتُ ما أمكنَني، وله عليهما شرحان في غاية الإفادة، أكثرَ فيهما النّقل من كلام الإمام المحقّق أبي علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي في حاشيته على الكبرى، وهما مما يُستدلّ به على مكانته في ذلك الفن"[35].

- شرح مستقلّ على المختصر إلى أركان الطلاق: وقف عليه العلامة محمد بن أبّ المزمّري، حسبما ذكر ابنه ضيف الله[36].

- قصيدة في الفرائض: ذكره تلميذه عبد الرحمن بن عمر بأنّه لم يقف عليها[37].

حياته العلمية وآراؤه الفقهية:

- تكوينه العلمي: يعد عبد الرحمن الجنتوري من أوئل الطلبة الذين تتلمذوا على الشيخ عمر بن عبد القادر في تنلان، وتميز بنبوغه في الفقه حتى أنه فاق شيخه عمر بن عبد القادر، وقد شهد بذلك بعض تلامذته على رأسهم تلميذه عبد الرحمن بن عمر التنلاني الذي أورد في فهرسته أنه استحسن طريقته في التدريس، وقال إنه استفاد منه أضعاف ما استفاد من الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني، قال عبد الرحمن التنلاني في فهرسته: "وكان- رحمه الله- أعلم من لقيته بالأصول والقواعد الفقهية، فاق في ذلك شيخه أبا حفص المذكور فضلاً عن غيره، عارفاً

باستخراج الفروع والنوازل منها وبردها إليها، وقد قال لي يوما: وددت أني وجدت طالباً حاذقاً أقرئه مختصر الشيخ خليل على أن أسند كل مسألة منه إلى أصلها، وانتهت إليه الرياسة في الفتوى والتدريس في صقعي توات وتجورارين بعد وفاة شيخنا أبي حفص، وكان إذا رُفع إليه سؤال في نازلة يشحن جوابه بالمعقول ويُطيل فيه النّفس، وإذا وقف عليه من فقهاء العصر من لا إلمام له بالقواعد أنكره استطالة ظنا منه أنه لا طائل تحته وذلك لجهله، ومن جهل شيئا عاداه، وقلّ ما جاءه سؤال في كاغد إلا وأملاه بجوابه بديهة- رحمه الله-، وكانت بينه وبين شيخنا أبي حفص مراجعات في مسائل لم يراجع أحدهما فيها بصاحبه حتى توفي أبو حفص، وطالت بيني وبينه المراجعة في بعضها بعده، وذلك أني كنت استصوبت رأي أبا حفص فيها فلم يزل يراجعني حتى رجعت إلى رأيه، ووقع لي ذلك معه في مسائل وتلك عادته- رحمه الله- مع كل من خالفه، لا يزال يراجعه بالمعقول والمنقول حتى يسلم له صاحبه أو يرى منه عناد[38].

وجاء في رحلة ضيف الله بن محمد بن أب على لسان أبيه، أن الجنتوري بلغ في مستواه العلمي مبلغًا فاق به شيخه عمر بن عبد القادر حتى أنه لو أدركه لقرأ على يديه[39].

وقد تصدر الشيخ الجنتوري التدريس في تينجورارين التي استقر بها الشيخ محمد بن أب المزمري، حيث كانا يقضيان معا أوقاتًا طويلة في إصلاح مقطعاته الشعرية ومراجعة النوازل التي كانت ترد له[40]، وأورد التنلاني في ترجمته للشيخ الجنتوري أن الشيخ لما زار الحرمين في رحلة حجه لم يجد من يجاري الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني في علمه إلا عالما في الحديث[41].

آراؤه التجديدية في المذهب المالكي: رغم أن الجنتوري تلقى تكوينًا محليًا لعدم التحاقه بأي من الحواضر العلمية خارج توات- إلا ما كان له من رحلة إلى الحج- غير أنه مثل ظاهرة فقهية فريدة في منطقة توات، حيث نستشف مما جاء عنه في فهرسة التنلاني أنه كان انتبه إلى الجمود الذي كان يعاني منه الفقه المالكي بفعل اكتفاء علمائه بالنقول والاختصارات والاهتمام بالفروع وترك الأصول، حيث دعا إلى ضرورة العودة إلى الكتاب والسنة باعتبارهما أصل كل الأحكام بدل الدوران في الفروع، وأنتقد بشدة علماء عصره الذين يولون الاهتمام بالفروع، وهذا ما يجعلهم حسبه لا يستقرون على رأي، وتتميز أحكامهم بالاضطراب حيث أنهم يفتون في كل يوم بقول لأنهم لا يجتهدون في ضبط المسائل، ودعا إلى ضرورة التفقه في أحكام الآيات القرآنية والأحاديث لأنه ما من فرع إلا وله دليل من الكتاب والسنة[42].

ويظهر تميز الجنتوري جليا في الفتوى التي أصدرها وجمعت فيما سمي بنوازل الجنتوري، والتي لو تمكن جامعها من جمعها كاملة لفاقت نوازل المعيار للونشريسي، وقد أبرز فيها الجنتوري قوة فائقة في التحقيق والضبط والتدليل حيث كان يشحن جوابه بالمعقول والمنقول ويطيل النفس في ذلك، أضف الى ذلك تلك السرعة في استحضار الأدلة والنقول من أمهات كتب المالكية كمحمد الهواري ابن عبد السلام التونسي، وابن عرفة في كتابه الحدود وخليل في مختصره وابن غازي والحطاب في مواهب الجليل وكتب علي والاجهوري والتتائي وكتاب التبصرة لابن فرحون، بل كان يضرب النقول بعضها ببعض، ويميز بين السقيم وينسب كل قول لقائله بأمانة[43].

- موقفه من قضاة توات: وكان الجنتوري شديد النكير على قضاة توات، وكان يتهمهم بالجور والجهل ومخالفة الشريعة في كثير من أحكامهم، ومن جملة ما انتقد به قضاة عصره أنهم يقبلون شهادة المدعي مكتوبة على ورق ولو كان حيا حاضرا ولا يكلفون أنفسهم الإتيان به للتحقق من خطه وهذا خلاف ما يجري عليه إجماع الأمة، وهم برغم ذلك- حسبه- لا يقبلون النقد ويشنعون على منتقدهم، كما أخذ عليهم حكمهم ببيع العقار المرهون بالدين قبل الإعذار إلى المدين، كما أنهم يحكمون في المواريث قبل إثبات الموت وعدة الوراثة، وحكمهم على الغائب من غير تسمية الشهود، وتساهلهم في تحليف القائم يمين القضاء[44].

كما أنتقد الجنتوري ما درج عليه قضاة توات في أنهم يأخذون أجرة معتبرة لقاء إخراج نسخة الحكم، وقال: إن هذا لا أصل له في المذهب بل يعد من قبيل أكل أموال الناس بالباطل، وتعجيز للخصم، رغم أنه يورد أنه للقاضي أن يؤجر على قضائه ولكن بمقدار التعب[45].

ومن جملة الانتقادات التي وجهها للقضاة، ما أجاب عنه في نازلة تتعلق بالمبالغ المالية التي درج قضاة توات على أخذها من الخصمين قبل الحكم، وقال: إنه يلزم على القاضي أن يأخذ أتعابه المعقولة من المحكوم له كما أثار أيضا قضية احتمال وجود وجهين للحكم، وقال: إن بعض القضاة في توات كانوا يحكمون لمن يدفع أكثر واستدل بقول الشافعي: من ولي القضاء ولم يفتقر فهو سارق واستشهد بالأبيات:[46]

أتقالله ياخليلي رويدا		واجعل العلم أخراك بيدا
ولاتكن كمعاشر الفقهاء		جعلوا العلم للدرهمين صيدا

أخـــذوه فصيروه معاشـــــا		ثم كـــــــــادوا البـــــرية كيـــدا
فلهذا صـــب البلاء عليـــنا		مستحقـــا ومادت الأرض ميـــــدا

ويحتمل تلميذه عبد الرحمن التنلاني أن سبب وفاة الشيخ الجنتوري كان بدسيسة من هؤلاء القضاة الذي أمعن في انتقادهم[47].

وفاتـــه: توفي الشيخ عبد الرحمن الجنتوري في الثالث من جمادى الأولى سنة 1160هـــ، وهي السنة التي توفي فيها الأديب ابن أُب والفقيه محمد الصوفي من علماء قورارة، وقد رثاهم ضيف الله بن أب بقوله:

تُوفي الشَيْخ فِيْهَا عنْ قَريـــــــب بِأَهْوَنِ مِنْ جُمَادَى مِنْ غَـــير لُبس
بيومِ عَاشِرِ منـــــهُ بعِـــامِ مِنْ السِتينَ فِي التَحْقِيـــقِ حَـــــــدْسِ
وَفِي ذَا العَامِ قَدْ غَـــارتْ عُيون كَصُـــــــوفي وجَنتْوري ونحـــَس[48]

الخاتمة: عاش الجنتوري منافحا عن الحق لا يخاف في الله لومة لائم؛ فحق له قامة علمية فارهة في سماء المشهد الفقهي في منطقة توات خلال القرن الثاني عشر الهجري، حيث إنه ورغم تكوينه المحلي الصرف إلا أن سعة اطلاعه جعلته يتفرد عن معاصريه من الفقهاء وقضاة توات؛ فكان أول من انتبه إلى الجمود التي يعانيه المذهب المالكي، وراح يدعو إلى التجديد بالعودة لأصول الأحكام بدل الاكتفاء بالفروع، كما أنه كان دائم الإشارة إلى الأخطاء المعضلة التي يقع فيها قضاة توات، وبخاصة فيما يتعلق بالشهادة وبعض الأحكام القضائية الجائرة كالمفاضلة بين المتخاصمين وغيرها، وبذلك مثل الجنتوري ما يشبه محكمة الاستئناف إذ كانت ترد عليه الأقضية من عموم توات، ويبدي الرأي فيها معتمدا على الأدلة الفقهية لذا فإننا نلمس في مؤلفاته تلك القوة في الطرح والانتقاد اللاذع لمخترقي قواعد المذهب، فقهاء كانوا أم قضاة؛ فرحم الله شيخنا الجنتوري وجزاه عنا الف خير.

الهوامش:

1- تنجورارين (قورارة): لفظ بربري زناتي معناه المعسكر.

2 - تيدكلت: لفظ بربري معناه الصحن.

3 - ابن بابا حيدا، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق: فرج محمد فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977 ص11.

4 - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، بيروت: دار الفكر2001، الجزء 01/76-77.

5 - العياشي أبو سالم، الرحلة العياشية، ماء الموائد، فاس، طبعة حجرية، الجزء 20/1-21.

6 - تحدث عنها ابن خلدون، حيث وصف أسواقها في سياق حديثه عن حركة القوافل في الصحراء حيث أورد أن قبائل من تلمسان يسمون ذوي عبيد يمرون على تمنطيط في طريقهم إلى بلاد السودان ينظر: (ابن خلدون، العبر، الجزء6/80.).

7 - ابن بابا حيدا، القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص14.

8 - نسبة إلى بني منيارة وهي قبيلة من العرب معروفة بأرض التلول ينظر:(ابن بابا حيدا، القول البسيط،ص30).

9- دفين أولاد علي بن موسى بتمنطيط، ينظر: (ابن بابا حيدا، القول البسيط، ص31).

10- بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص76. وأيضا: ابن عبد الكريم، درة الأقلام، ورقة 19).

11 - الحمدي، أحمد، محمد بن عبد الكريم المغيلي، رائد الحركة الفكرية في توات، عصره وآثاره، رسالة ماجستير، المعهد الوطني للحضارة الإسلامية، وهران، 1999-2000م، ص67.

12 - تقع بني تامرت ضمن إقليم الآن بلدية تيمي، وتبعد عن مدينة أدرار بـــ 07كلم.

13 - ابن عبد الكريم، محمد التمنطيطي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الاسلام، خزانة كوسام ـــ أدرار ـــ الجزائر، ورقة 19.

14 - ابن عبد الكريم، درة الأقلام، ورقة 19.

15 - حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات خلال القرنين (11 ـــ 14هـ ـــ17ـــ20م)، طبعة مديرية الثقافة لولاية أدرار، 2003، ص50.

16 - الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الوانقالي ثم التنلاني مؤسس زاوية تنلان توفي 1078 هـــ (ينظر: المهداوي، عمر بن عبد القادر، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ ،أدرارـــ الجزائر، بدون ترقيم، ورقة 01.

17 - ولد سنة 1098 هـــ رحل إلى المغرب الأقصى طالبا للعلم لـــ 13 سنة أخذ فيها عن الشيخ محمد بن أحمد المسناوي والشيخ الحسن بن رحال المعداني والشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي والشيخ محمد بن عبد السلام بناني والشيخ محمد بن زكري الفاسي والشيخ محمد حفيد ميارة الفاسي وغيرهم، ما أهله للتدريس بجامع القرويين والمدرسة المصباحية بفاس، رجع إلى توات وتصدر للتدريس وببلدته تنلان توفي عشية الأربعاء لثلاث ليل خـــلون من ربيع الأول سنة 1152 هـــ. أنظر ترجمته في: عبد الرحمن بن عمر التنلاني ، الفهرسة، ص ص 82، 91، 98. وأيضا: بن أب ضيف الله، الرحلة لزيارة قبر الوالد، مخطوط، بخزانة سيدي أحمد ديدي بتمنطيط، ورقة32 .

18- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية الى توات، دار هومة ، 2005، ج 01، ص .161

19- تِطاف أو تيطاف من قصور بلدية تامست حاليا، يقع على مسافة 60 كم جنوب أدرار.

20 - الجنتوري، عبد الرحمن بن إبراهيم، نوازل الجنتوري، جمع وترتيب محمد بن عبد العزيز المسعدي الجراري، خزانة بن عبد الكبير (المطارفة، أدرار)، ورقة 01.

21- يُنظر ترجمته في المصادر التالية: عبد الرحمن بن عمر التنلاني، فهرسة التنلاني، ص 87 وما بعدها / عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بخزانة الوليد بن الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، ص 18/ضيف الله بن أبّ، الرحلة إلى قبر الوالد، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار، ص 67 ـــ 81/البكري بن عبد الكريم بن البكري، إعلام الإخوان بأخبار بعض السادة الأعيان، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار، ص 16 / عبد الرحمن الجنتوري، نوازل الجنتوري، جمع وترتيب: محمد بن عبد العزيز المسعدي الجراري، مخطوط بخزانة بن عبد الكبير، المطارفة، أدرار، ص 01.

22- نسبة إلى عين صالح من بلاد تيدكلت (تقع الآن ضمن الحدود الإدارية لولاية تمنراست ـــ جنوب شرق الجزائر) الجنتوري، نوازله، ورقة 01

23-الجنتوري، نوازله، ورقة01

24 - نفسه، ورقة 01

25-التنلاني، عبد الرحمن بن عمر، فهرسة التنلاني، دراسة وتحقيق ، عبد الرحمن بعثمان، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، بإشراف الدكتور محمد بن معمر، جامعة بشار، 2009، ص 87.

26 - التنلاني، فهرسته، ص126.

27- الجنتوري، نوازله،ورقة 02ـ 05

28- التنلاني، المصدر فهرسته، ص 125.

29- التنلاني، المصدر فهرسته، ص 124.

30- بن أبّ، رحلته، ص 67.

31- الجنتوري، نوازله، ص 01.

32- المصدر نفسه، ص 01.

33- بن أبّ، رحلته، ص 67.

34- التنلاني، فهرسته، ص 124.

35- بن أبّ، رحلته، ص 67.

36- التنلاني، فهرسته، ص .125

37- التنلاني فهرسته، ص87.

38 - ابن أب، رحلته، ص 67.

39 - ابن أب، رحلته، ورقة 67.

40 - فهرسة التنلاني، ص122.

41 - فهرسة التنلاني، ص120.

42 - الجنتوري، نوازله، ورقة 01

43 - فهرسة التنلاني، ص123.

44 - فهرسة التنلاني، ص123.

45-الجنتوري، نوازله ورقة 07.

46- فهرسة التنلاني، ص 124.

47 - ابن أب، رحلته، ورقة 67.